

(التَّمَنِّي)

خُطْبَةُ جُمُعَةٍ لِشَيْخِنَا الْفَاضِلِ أَبِي الْمُنْدَرِ مِنْبَرِ السَّعْدِيِّ الْعَدَنِيِّ _ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

٢٩ جمادى الأول ١٤٤٤ هـ

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي مُحَمَّدٌ ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

أيها المسلمون عباد الله:

إن الكَيْسَ الفطن من دَانَ نفسه وحاسبها ، وعمل لما بعد الموت ، وإن العاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى .

وحديثنا في هذه الجمعة عن التمني ، وهو من الأمور المهمة حتى ، أن الامام البخاري -رحمه الله تعالى- جعل في صحيحه كتاباً ، سماه : (كتاب التمني) وذكر فيه ما يشفي ويكفي ، وقد عرّف الحافظ ابن حجر التمني بأنه إرادة في المستقبل : أي أن يريد شيئاً في المستقبل ، قال : فإن كانت هذه الإرادة في خير من غير أن تتعلق بحسد ، فهي مطلوبة وإلا فهي مذمومة .

فتبين لنا من هذا التعريف أن التمني منه ما هو مذموم ، ومنه ما هو مطلوب محمود ، فأما المذموم فكمثل أن يتمنى الإنسان الموت لمصيبة حلت به ، أو لضرٍ أصابه ، فقد جاء في الصحيح من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ أصابه ، فإن كان ولا بد فاعلاً) أي : فإن كان ولا بد داعياً (فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي) .

والعلة في ذلك في النهي عن تمني الموت ما جاء في حديث أبي هريرة وما ورد في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : (لا يتمنين أحدكم الموت ، فإن كان محسنًا ازداد) أي من الإحسان (وإن كان مسيئًا فليستعذب) أي : ليتب إلى ربه ، وليرجع إليه .

ومن التمني المذموم : تمني لقاء العدو ، فقد جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن أبي أوفى عن النبي ﷺ أنه قال : (يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا) .

قال ابن الجوزي : وفي تمني لقاء العدو استدعاءٌ للبلاء ، وادعاء للصبر ، وما يدريك كيف يكون صبرك إذا جاء البلاء .

ومن التمني المذموم : تمني زوال النعمة عن الغير ، وهذا هو الحسد ، وهو من صفات اليهود ، كما أخبر الله عز وجل عنهم بقوله : (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) ولهذا نهي الله المؤمنين ، فقال : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما) .

ومن التمني المذموم : أن تتمني الفجور ، وأن تتمني الشرور ، وأن تتمني الرذيلة ، وأن تتمني أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم كأولئك الذين يتمنون مجتمعًا مدنيًا أو مجتمعًا علمانيًا أو مجتمعًا لبراليًا أو مجتمعًا ديمقراطيًا أو يتمني الشرك أو يتمني البدع أو يتمني الفوضى في بلاد المسلمين ، فكل ذلك من التمني المذموم القبيح ، والله عز وجل يقول : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وهكذا من التمني المذموم : أن تتمني المغفرة ولم تأتِ بأسبابها ، أن تتمني الجنة ، ولم تعمل بعمل أهلها ، تتمني وأنت راقد ، تتمني وأنت كسلان ، تتمني وأنت في عجز وفقر ، فهذا من التمني المذموم ، يقول الله سبحانه : (ليس بأمانيتكم ولا أمانيتكم) أيها المسلمون (ولا بأمانيتكم) (الكتاب) من اليهود والنصارى (من يعمل سوءًا يُجْزَ به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا) . (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) .

ويقول الله سبحانه في المنافقين لما ينادون أهل الإيمان : (انظرونا) انتظرونا (نقتبس من نوركم) يقول المنافقون للمؤمنين : ألم نكن معكم في الظاهر (قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانيت) تتمنون المغفرة وأنتم تبطنون الكفر وتظهرون الإسلام (وغرتكم الأمانيت حتى جاء أمر الله) حتى جاءكم الموت (وغرتكم بالله الغرور) .

وأما التمني المحمود المطلوب فكمثل ما تمنى النبي ﷺ كما في صحيح البخاري ، قال : (وددت لو كان عندي أحد ذهبًا) لو : للتمني (لو كان عندي أحد ذهبًا لأحببت ألا يأتي علي ثلاث وعندي منه دينار إلا شيء أرصده لدين) صلوات الله وسلامه عليه (لو كان عنده مثل جبل أحد ذهبًا ما أحب أن تأتي عليه ثلاث أيام وعنده منه دينار ، يعني يفرقه ويقسمه بين المسلمين ، إلا شيء يرصده ويعده لدين .

وهكذا في الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام : (والذي نفسي بيده وددت لو أني أقتل في سبيل الله ثم أحيًا ثم أقتل ثم أحيًا ثم أقتل في سبيل الله ثم أحيًا ثم أقتل) تمنى الشهادة صلوات الله وسلامه عليه ، وفي الحديث أن الله يكلم الشهيد ، ويقول له : (تمنى) ، فيقول : أتمنى أن تردني إلى الدنيا فأجاهد في سبيلك فأقتل .

ومن سأل الشهادة بصدق وتمناها بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، ولو مات على فراشه ، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ .

ومن التمني المحمود : ما جاء عن الصحابة كربيعة بن كعب الأسلمي تمنى أن يرافق النبي ﷺ في الجنة ، فقال له عليه الصلاة والسلام : (سل يا ربيعة) قال : أسألك مرافقتك في الجنة ، قال : فأعني على نفسك بكثرة السجود.

وجلس عمر الفاروق رضي الله عنه وأرضاه أمير المؤمنين جلس مع أصحابه ذات يوم ، فقال تمنوا ، قال أحدهم : أتمنى أن يكون ملئ هذه الدار دراهم ؛ فأنفقها في سبيل الله ، فقال عمر : تمنوا ، فقال آخر : أتمنى أن يكون ملئ هذه الدار ذهبًا ؛ فأنفقه في سبيل الله ، قال عمر : تمنوا ، فقال آخر : أتمنى أن يكون ملئ هذه الدار جواهر ؛ فأنفقها في سبيل الله ، قال عمر : تمنوا ، قالوا : ما عندنا بعد هذا يا أمير المؤمنين ، قال : ولكني أتمنى أن يكون ملئ هذه الدار رجالًا كأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان أستعملهم في طاعة الله ، ثم بعث بمال إلى معاذ ، قال : انظروا ماذا يصنع ، فلما جاء المال إلى معاذ أنفقه في سبيل الله ، وبعث بمال إلى حذيفة ، قال : انظروا ماذا يصنع ، فلما أتاه المال أنفقه في سبيل الله ، وبعث بمال لأبي عبيدة ، فصنع كما صنع صاحبه ، قال عمر : ألم أقل لكم ! .

وهكذا ذكر الحافظ الذهبي في السير أن عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير اجتمعوا في الحجر عند الكعبة ، فقال مصعب : تمنوا ، فقالوا : أبدأ أنت ، قال أتمنى إمرة العراق ، وأن أتزوج من عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وقال عبد الله بن الزبير : أما أنا فأتمنى الخلافة ، وأما عروة فقال : أتمنى أن يؤخذ عني العلم ، وأما عبد الله بن عمر فقال : أما أنا فأتمنى المغفرة من الله.

قال فأصاب مصعب إمرة العراق : أي تحصل على إمرة العراق ، وتزوج من عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين ، وأما عبد الله بن الزبير فكانت له الخلافة على الحجاز ، وأما عروة ابن الزبير فكان أحد الفقهاء السبعة من فقهاء التابعين ممن أخذ عنهم العلم ، وبقيت أمينة عبد الله بن عمر ينتظرها عند ربه.

قال الحافظ الذهبي : فكلهم نال ما تمنى ، ولعل ابن عمر قد غُفِرَ له ﷺ وعن أبيه .

ومن التمني الحمود : أن تتمنى الخير للناس ، أن تتمنى الهداية للناس ، فربنا عز وجل قصَّ علينا نبأ ذلك الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى (قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) إلى أن قال : (إني آمنت بربكم فاسمعون) فقتلوه ، قتلوه قومه ، فأكرمه الله بالجنة (إني آمنت بربكم فاسمعون) قتلوه ، (قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) يتمنى الخير لقومه ، حتى بعد ما قتلوه .

وهكذا كان من السلف من كان حاله كذلك ، فهذا ابن عباس كما روى الطبراني أنه قال : إني لأمر بالآية من كتاب الله ، فوددت لو أن الناس يعلمون منها ما أعلم .

وهذا الشافعي -رحمه الله تعالى- يقول : وددت لو أن الناس تعلموا هذا العلم على ألا يُنسب إليَّ حرف منه .

وهذا بعض السلف يقول : وددت لو أن الناس أطاعوا الله ، وأن حمي قُرُصَ بالمقاريض ، يعني قُصَّ بالمقصات ، فيتمنون الخير ، ويتمنون الهداية للناس .

رجال ينظرون إلى الأمور ، ويتمنون بإيمانهم وعقولهم ، لا بشهواتهم وأهواءهم ، ومثل هذه الأمانى الحمودة معشر المسلمين تحتاج إلى أن تأخذ بالأسباب ، ولو كانت الأمانى دنيوية ، ما دام أنها في إطار المباح ، كمن يتمنى أن يكون طبيباً أو مهندساً أو غير ذلك من الأمور الدنيوية ، فإن هذه من الأمور المباحة ، وقد يؤجر عليها صاحبها إذا نوى بها خدمة الإسلام والمسلمين ونفع الناس .

فهذا الأمانى دنيوية أو أخروية لا بد لها من أسباب تأخذ بها ، أما الكسل والعجز فلا يحقق لك شيئاً ، وأذكر ثلاث أسباب ، أولها وأعظمها : أن تلجئ إلى الله ، وتطلب العون من الله عز وجل ، وتبتراً من حولك وقوتك ، إياك أن تعتمد على مجهودك واجتهادك ، وتنسى الله ﷻ :

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى *** فأول ما يجني عليه اجتهاده

والله عز وجل يخبر عن شعيب أنه قال : (وما توفقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

وكان النبي ﷺ يحمل التراب وهو يقول : (اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا).

وهكذا مما يستعان به على بلوغ المُنَى والأمانى المحمودة : الهمة العالية ، والنفس التواقة الشريفة التي لا ترضى بالأمر الدنية ، ولا ترضى بسفاسف الأمور ، نفس تواقة للمعالي ، نفس تواقة للدرجات العالية والدرجات الباقية ، وهذا يحتاج إلى تعب ، أن تتعب في جسدك ؛ حتى تحقق مُنَاكَ :

وإذا كانت النفوس كبارًا *** تعبت في مرادها الأجسادُ

وهكذا عليك بالصبر وطول النفس ؛ حتى تبلغ ما تمنيت : (وما يلقاها إلا الصابرون) فلا بد من صبر وإصرار وثبات ، ومن ثَبَتَ نَبَتَ ، لأستسهلنَّ الصعبَ أو أدرك المُنَى : أي إلى أن أدرك المُنَى ، فما انقادت الآمال إلا لصابرٍ ، فإذا بلغت مرادك ، فهذا هو المطلوب ، وإذا كبا بك جوادُك ، فقد بذلت جهدك ، واستعنت بالله ، فلا لوم عليك ، كما قيل : إنما نحاول مُلْكًا أو نموت فنُعْذِرًا .

أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد أيها المسلمون عباد الله:
ألا فلنحذر أن نكون من أصحاب الأمانى التي لا تُدْرِكُ كأمانى الموتى وأمانى أهل النار ، فإنك يا عبد الله في زمن أمنيات يتمناها الموتى ، ويتمناها أهل النار ، فإن أول ما يتمناه الميت أنه يرجع إلى هذه الدنيا ، لا ليزاحم أهلها على الأموال ، ولا ليزاحم أهلها على الجاه والمناصب ، ولا ليزاحم أهلها على الأزواج والأولاد ، ولكن يريد أن يرجع لهذه الدنيا ليعمل صالحًا ، ليصلي فريضة مع المسلمين في بيوت الله ، ليتصدق بصدقة ، ليعمل عملاً من أعمال البر (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا) أمنية لا تُدْرِكُ لهذا الميت (كلا إنما كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون).

ويقول الله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربى لولا) لولا : أمنية يتمناها (لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون).

فأنت في أمنيات الموتى ، فاعمل صالحًا يا عبد الله ، وتب إلى الله عز وجل ، وحافظ على ما أمر الله ،
واترك ما حرم الله قبل أن ينزل الموت ، فتنمى هذه الأمنية فلا تدركها .

وهكذا أمنيات أهل النار يتمنون أن لو كانوا اتبعوا النبي ﷺ ، واتخذوا معه سبيلاً وطريقاً ، وأطاعوا الله
ورسوله ، فأنت في زمن أمنيات أهل النار اتبع رسول الله ، واجعله أسوتك ، واجعله قدوتك ، ائتمر بما
أمر به ، وانه عما نهى عنه ، ولا تعبد الله إلا بما شرع رسول الله ﷺ ؛ فإنه لا طريق إلى الله ولا إلى جنته
إلا من طريق رسول الله ﷺ (ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً) (يقولون
يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) .

أنت في هذه الأمنية ، فاتخذ لك مع رسول الله سبيلاً وطريقاً إلى الله جل وعلا وإلى جنته .

وهكذا إن كنت ممن يرافق أهل السوء ، ويصاحب الصحبة السيئة ، فاتركهم قبل أن تنمى تلك الأمنية
التي يتمناها الظالم (يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان
للإنسان خذولاً).

اترك الرفقة السيئة ، ورافق الصالحين ؛ فإن المرء على دين خليله .

وهكذا أمنيات أهل النار يشتهون الإسلام ، ويشتهون الإيمان ، (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا
ليتنا نردُّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) .

وقال الله سبحانه : (رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) يشتهون الإيمان ، ويشتهون الإسلام عند
الموت ، يشتهون الإيمان ، ويشتهون الإسلام إذا رأوا النار ، وكانوا حولها ، يشتهون الإيمان ، ويشتهون
الإسلام إذا كانوا في النار عندما يرون خروج الموحدين من النار .

فيا عبد الله أنت في زمن هذه الأمنيات ، فاعمل قبل أن يحال بينك وبينها فإنها والله حسرات وندامات
وزَفَرَات وأمنيات ، لكنها لا تُدرك (وحِيلَ بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِلَ بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في
شكٍ مريب).

قام بتفريغها: بعض طلبة الشيخ.